محاضرات في التغير الاجتماعي

أ.د/ حواوسة جمال

مقدمة
أولاً- مفهوم التغير الاجتماعي وأهم المفاهيم المقاربة له
ثانياً- عوامل التغير الاجتماعي
1- العامل التكنولوجي
2- العامل الثقافي
3- العامل الديموغرافي (السكاني)
4- العامل البيئي (الايكولوجي)
5- العامل الإيديولوجي (الفكري)
6- الثورات والحروب
ثالثاً- الاتجاهات النظرية المفسرة للتغير الاجتماعي
1- نظريات التغير المستقيم
2- نظريات التغير الدائرية
رابعاً- معوقات التغير الاجتماعي
خامساً- أنماط التغير الاجتماعي
سادساً- مجالات التغير الاجتماعي
خاتمة

المراجع

1- محمد الجوهري وآخرون، التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، مصر 2000.
2- محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر، ط 2، عمان، الأردن، 1996.
3- أحمد زايد وآخرون، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، مصر، 2000.
4- محسن عبد الحميد، منهج التغير الاجتماعي في الإسلام، مطبعة النعمان، العراق، 1986.
5- محمد عبد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1975.
6- معن خليل عمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
7- محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، لبنان، 1985.
8- مريم أحمد مصطفى وآخرون، التغير ودراسة المستقبل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998.

مقدمة:

إن دراسة أي مجتمع في حالة ثبات هو من باب الافتراض، لأن المجتمعات في تغير مستمر منذ القديم وإلى اليوم. والتغير ظاهرة عامة في كافة المجتمعات، لكن الذي يهمنا هو معدل التغير وعمقه ومبلغ سرعته، فكل العصور قد تكون عصور تغير اجتماعي، لكن هناك عصور تتميز بالتغير السريع، وهذا الأخير ينطوي على نتائج عديدة بالنسبة للحياة الاجتماعية والإنسانية. وقد أُستخدم مصطلح التغير الاجتماعي أول مرة في كتابات آدم سميث Smith Adam في كتابه المشهور: (ثروة الأمم)، الذي نُشر في القرن الثامن عشر، لكنه لم ينتشر ويصبح واسع التداول إلا بعدما نشر وليام أوجبرن William Ogburn كتاباً يحمل هذا العنوان عام 1922. والتغير الاجتماعي يخضع في واقع الحال إلى عوامل موضوعية، أي أن هذا التغير لا يحصل بصورة عشوائية ولا إرادية، ولكن وفق قوانين معينة، قد لا يكون لها دقة القوانين الطبيعية ولكنها تحمل مجمل الصفات العامة والخطوط العريضة للقوانين العلمية.

أولاً- مفهوم التغير الاجتماعي وأهم المفاهيم المقاربة له:

1- مفهوم التغير الاجتماعي: هو كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، ويشمل ذلك كل تغير في التركيب السكاني للمجتمع، أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها. ومن هنا فالتغير الاجتماعي هو تلك التحولات أو التبدلات التي تستقر عبر الزمن في مجالات الحياة الاجتماعية كتلك المتصلة بالأنماط السلوكية والثقافية للأفراد، ومكونات القيم والمعايير.

وهو أيضاً كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة، وقد يكون هذا التغير ايجابياً أي تقدماً وقد يكون سلبياً أي تخلفاً. فالتغير الاجتماعي نوع من التباين والاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي والنظم والظواهر الاجتماعية، والذي يؤدي إلى حدوث تغير في أنساق التفاعل والعلاقات وأنماط السلوك والنشاط الإنساني، ويعد السمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة.

2- أهم المفاهيم المقاربة لمفهوم التغير الاجتماعي: نلاحظ في التراث السوسيولوجي الأول أن هناك العيد من النظريات التي تخلط بين مفاهيم التغير والتطور والنمو والتقدم والتنمية، إلا أن هذه المصطلحات مرتبطة ببعضها على النحو التالي:

أ- التطور الاجتماعي Social Evolution: هو التحول المنظم من الأشكال البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيداً، وهو يُستخدم لوصف التحولات في الحجم والبناء، كما يشير إلى العملية التي تتطور بها الكائنات الحية من أشكالها البسيطة والبدائية إلى صورها الأكثر تعقيداً.

ب- التقدم الاجتماعي Social progress: هو حالة التغير التقدمي الذي يرتبط بتحسن دائم في ظروف المجتمع المادية واللامادية، ويسير التقدم نحو هدف محدد أو نقطة نهائية، ويرتبط هذا الهدف دائماً بنوع من الغائية، وفي التقدم تكون كل مرحلة أفضل من سابقتها.

ويرى بعض علماء الاجتماع وهم غالباً ما ينتمون إلى علم الاجتماع البرجوازي ضرورة التفريق بين مفهومي التطور والتقدم على أساس أن التطور مسألة موضوعية صرفة، في حين أن التقدم مسألة تقويمية خلقية وذاتية، وهو التبدل في الاتجاه الذي نرغب فيه بناء على مصالحنا.

ج- النمو الاجتماعي Social Growth: يعني عملية النضج التدريجي والمستمر للكائن وزيادة حجمه الكلي أو أجزائه في سلسلة من المراحل الطبيعية، كما يشير إلى نوع معين من التغير وهو التغير الكمي، ومن أمثلة على التغيرات الكمية زيادة حجم السكان وكثافتهم.

د- التبدل الاجتماعي: هو التغيرات التي تحدث في نوع الحياة المتعارف على قواعدها وتقاليدها في مجتمع معين، تلك التغيرات المتسببة عن مختلف العوامل الداخلية والخارجية، والتطور الاجتماعي يعني نوعاً من التبدل لكنه نوع متميز، فإذا كان التبدل الاجتماعي قد يحدث نتيجة لعوامل داخلية أو خارجية عن المجتمع، فإن التطور يحدث بعوامل داخلية فحسب.

هـ- التنمية الاجتماعية Social Development: هي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى بعد ممكن، لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي، ومفهوم التنمية الاجتماعية أقرب المفاهيم للتغير الاجتماعي.

و- التحديث الاجتماعي: يرى دانيال ليرنر Daniel lerner أن التحديث هو عملية تغير اجتماعي، تكتسب بمقتضاها المجتمعات الأقل تطوراً الخصائص العامة للمجتمعات الأكثر تقدماً. ويتم تفعيل هذه العملية عن طريق الاتصال الدولي، وهو أيضاً مجموعة العمليات التراكمية، التي توجه المجتمع نحو المزيد من الإنماء والتطور والتقدم.

ثانياً- عوامل التغير الاجتماعي: لقد حاول أوجست كونت وبعض علماء القرن التاسع عشر تحديد أهم العوامل المؤدية للتغير الاجتماعي واتجاهاته، خاصةً بعد النتائج التي طرحتها الثورة السياسية في فرنسا والثورة الصناعية في بريطانيا، وأصبح واضحاً أن التغير الاجتماعي عملية تتوقف على تفاعل عوامل عديدة منها:

1- العامل التكنولوجي: يذهب بعض العلماء إلى أن التكنولوجيا هي الأساس لكل التغيرات في العلاقات الاجتماعية، حيث أدى البحث عن عوامل التغير في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي إلى اختيار التكنولوجيا والاختراعات التكنولوجية على إنها أهم هذه العوامل، وهذا ما نجده في كتابات أوجبرن الذي برهن خلال مجموعة من التحليلات على أهمية التجديدات التكنولوجية كونها من أهم دوافع التغير.

إن الاختراعات والابتكارات والاكتشافات العلمية والتقدم في وسائل الاتصال والنقل كلها ذات أثر في التغير الاجتماعي، إذ تنعكس على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم الاجتماعية، وتغير السلوك البشري. والاختراع عبارة عن تركيب جديد للعناصر المعروفة، ويحدث في الجانب المادي للمجتمع، وقد يحدث في الجوانب غير المادية كاستخدام بعض المفاهيم الجديدة في الفلسفة.

2- العامل الثقافي: الثقافة تتطور، وكل جيل يقوم بنقل ارثه الثقافي إلى الجيل الآخر، وكلما حدث تغير ثقافي داخل المجتمع سواء كان مادياً أو معنوياً أدى إلى إحداث تغيرات في العادات والتقاليد والأعراف. والتغيرات التي تحدث في الجانب المادي أسرع من الجانب المعنوي، وخلال ذلك يحصل التخلف الثقافي كما أطلق عليه (وليام

أوجبرن)، وليس بالضرورة أن يكون التغير الثقافي نتيجة لعوامل داخلية وإنما يحدث نتيجة لاستعارة سمة ثقافية أو مركب ثقافي من مجتمع آخر، عن طريق الاتصال أو الهجرة أو وسائل الاتصال الأخرى مما يؤدي إلى حدوث تغير اجتماعي.

وقد يغير الانتشار الثقافي حالة المجتمع، ولكن أثر الانتشار يعتمد على مدى التنظيم في المجتمع فيما إذا كان قادراً على الاستفادة من العناصر الثقافية المنتشرة القادمة إليه، كما يمثل الاحتكاك والاتصال الثقافي عاملاً جوهرياً أيضاً في إحداث التغير، فاحتكاك المجتمعات ثقافياً عنصراً لازماً لكي تنبعث في الحياة عناصر تجدد مستمر ولتسودها روح العصر.

3- **العامل الديموغرافي (السكاني)**: إن أهمية العامل الديموغرافي تأتي نتيجة للحركة السكانية زيادةً أو نقصاناً، وكثافة السكان وتوزيعهم داخل المجتمع، وعليه فإن التقدم والتخلف مرهونان بالحركة السكانية، ولهذا صار العامل السكاني حاسماً في عملية التغير، وهذا ما ذهب إليه دوركايم حين قال بأن الزيادة في عدد السكان تؤدي إلى تقسيم العمل الاجتماعي، ومن ثم يكون هناك تقسيم أو انتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي الذي يرجع إلى العامل السكاني، كما أن نمو السكان يؤدي إلى تعقيد أكبر وإيجاد طرق جديدة للمحافظة على استمرارية المجتمع.

ويعتمد التغير في حدوثه أيضاً على الهيكل السكاني القائم في المجتمع، إذ يؤدي معدل المواليد والوفيات والهجرة إلى تغير في الهرم السكاني كزيادة عدد الإناث على عدد الذكور، وعلى اثر ذلك تحدث تغيرات اجتماعية تبعاً لنوع التكوين العقلي والجسمي والاجتماعي للنوع الغالب.

4- **العامل البيئي (الايكولوجي)**: تلعب العوامل البيئية دوراً هاماً في التغير الاجتماعي، فتغير المناخ يجعل أعضاء النسق الاجتماعي يتكيفون حسب الوضع الجديد، وقد تعمل البيئة أو المكان على تقديم الإمكانيات وتوفير المطالب للآهلين وقد تكون عديمة الجدوى بالنسبة لهم، كما يمكن أن تحد العراقيل الطبيعية من فعالية الاتصال بين الشعوب. ويمكن إجمال العوامل البيئية التي تؤثر في التغير الاجتماعي في المناخ مثل (الرطوبة والرياح والحرارة والأمطار)، والموقع الجغرافي مثل (القرى أو المدن من البحر أو الصحراء أو خط الاستواء)، ووجود المصادر الطبيعية مثل (البترول والمعادن والغازات والمياه)، والكوارث وما يصاحبها من أمراض والكوارث الطبيعية.

5- **العامل الايديولوجي (الفكري)**: إن تعدد المذاهب الفكرية في المجتمع يؤثر في أساليب حياة أفراده، فالأفكار الدينية والرأسمالية والاشتراكية تؤثر في نشاط الأفراد والجماعات وتشكل نمطاً معيناً من التفاعلات والعلاقات. وتمارس السلطة في كل مجتمع إنساني فرض أي ايدولوجيا من خلال وسائل الإعلام المسخرة من أجل إحداث التغيرات في البيئة الاجتماعية وفي علاقاتها الاجتماعية.

6- **الثورات والحروب**: الثورة تعني التغير الاجتماعي الشامل بهدف تحقيق التقدم للمجتمعات المتخلفة التي تعاني من الاستعمار والإقطاعية والرجعية، وهي التغير الجذري الذي يحدث عندما تكون القوى القديمة بكل أشكالها وأنماطها غير متمكنة من مواجهة متطلبات المجتمع القائم، فالثورة تعني إحداث تغيرات جذرية وعميقة في حياة المجتمع من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، أما الحروب لها الأثر في

طبيعة العلاقات الاجتماعية والأخلاق والقيم السائدة في المجتمع، في إحداث التغير الاجتماعي سواء أكان هذا التغير سلبياً أم إيجابياً.

بالإضافة إلى هذه العوامل هناك العامل البيولوجي الذي أشار إليه العالم الفرنسي آرثر جوبيتو (صاحب النظرية العنصرية في علم الاجتماع) على عدم تكافؤ الأجناس وهذا ما يفسر الاختلاف في خصائص الأجيال المتتالية فمثلاً هل نحن مثل أجدادنا من الناحية البيولوجية. أما العامل الديني يشدد المؤرخ الفرنسي (فوستيل ري كولانج) في كتابه (المدينة الحقيقية) على التغير الاجتماعي، ويؤكد (بنيامين كيد) الفيلسوف الانجليزي ما أشار إليه (كولانج) من أن الدين هو القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم، فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات وينقذ الحضارة من الأفكار، والدين هو الذي يسمح بوجود تقدم اجتماعي، وتغير مستمرين بحسب ما يرى (كيد).

ثالثاً- الاتجاهات النظرية المفسرة للتغير الاجتماعي: لقد بذل عدد من علماء الاجتماع مجهودات كبيرة لبناء تصورات نظرية لتفسير ظاهرة التغير الاجتماعي، ويذهب بعض الكُتّاب إلى أن التغير الاجتماعي يحصل بناء على وضمن توجيه نظريات اكتشفها مفكرون في الأجيال السابقة، وهذه النظريات تنقسم إلى قسمين: نظريات التغير المستقيم، ونظريات التغير الدائرية، وهذا ما يوضحه الشكل التالي:

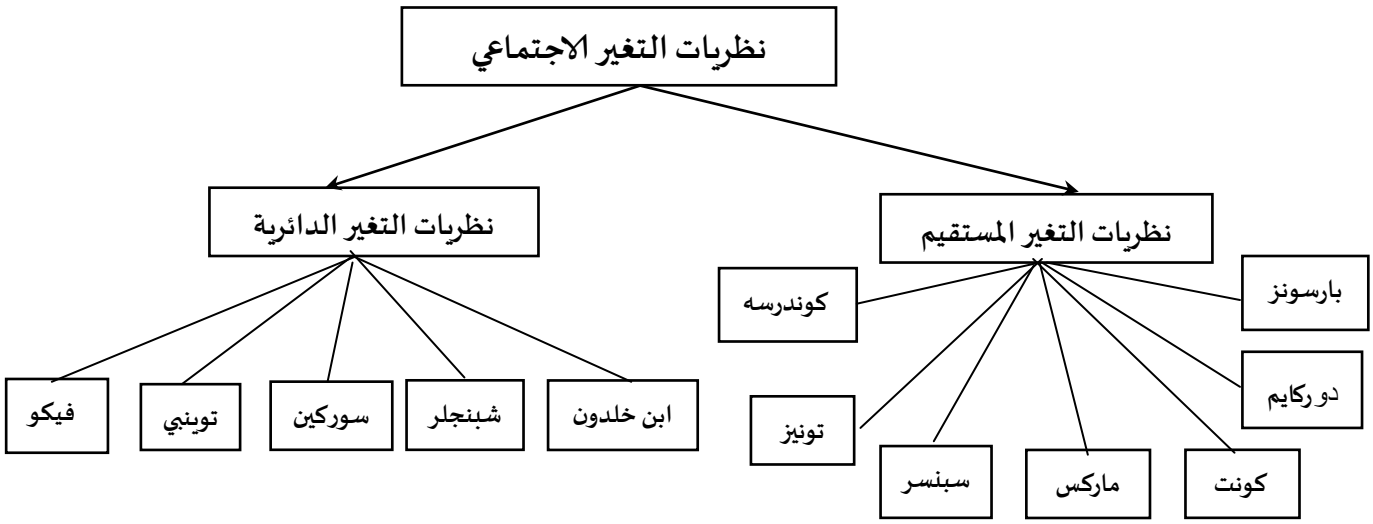

1- نظريات التغير المستقيم:

وتسمى أيضاً النظريات الخطية Linear، التي تقول بسير حركة المجتمع في خط واحد، ويتفق العلماء الذين يأخذون بهذا المنظور في أن حركة التطور تسير في اتجاهٍ خطي ويختلفون في عوامل التغير أو مراحله، ومن هذه أشهر هذه النظريات نجد:

- نظرية أوجست كونت (1798- 1857) Auguste Comte: عالم اجتماع وضعي فرنسي، من أنصار المدرسة الحيوية والاتجاه العضوي من مؤلفاته: دروس في الفلسفة الوضعية، ونظام السياسة الوضعية، وفيهما شرح لأهم أفكاره الاجتماعية. يرى كونت أن الحالات الفكرية الثلاث التي مرت على المجتمعات يصح تطبيقها على الأفراد كذلك، فهي تتعاقب في الإنسان مثلما تتعاقب في المجتمعات، وهذه الحالات هي:

1- المرحلة اللاهوتية (الدينية): ويشبهها بمرحلة الطفولة، وتفسر فيها الظواهر المختلفة بعلل أولية استناداً إلى أسلوب الفهم الديني، وفيها يكون التفوق للجماعات الدينية.

2- المرحلة الميتافيزيقية (الفلسفية): ويشبهها بمرحلة الشباب، أو عصر الثورات الغربية، وفيها يبدأ العقل في التفكير فيما وراء الأشياء، ويسيطر على عقول الناس المذاهب الفلسفية.

3- المرحلة العلمية (الوضعية): ويشبهها بمرحلة الرجولة، وفيها تفسر الظواهر بعلل تقوم على المنهج العلمي المبني على الملاحظة، والتجربة، والمقارنة التاريخية والابتعاد عن العلل المجردة.

ويرى كونت أن التطور الارتقائي الذي شهدته الإنسانية يبدو في مظهرين هما:

- الحالة الاجتماعية: وهي في تحسن مستمر، وذلك بفضل ما تستطيع كشفه من قوانين الظواهر الاجتماعية، فكلما توصلنا إلى قانون علمي أمكننا السيطرة على الظواهر التي تخضع له، وهذا التقدم الارتقائي سريع الحركة واضح النتائج، وخاصة في التقدم المادي.

- الطبيعة البشرية: حدث فيها تطور في النواحي الطبيعية والعقلية والأخلاقية.

غير أن آراء كونت تعرضت لعدة انتقادات منها الخلط بين مصطلحي التقدم والتطور، حيث اعتبرهما مترادفين في حين أن الفرق بينهما واضح، كما أنه ليس بالضرورة أن يمر التفكير الإنساني بنفس الترتيب الذي تصوره.

- <u>نظرية كارل ماركس</u> (1818- 1883) Karl Marx: فيلسوف مادي، واقتصادي ألماني ذو أصول يهودية، حصل على الدكتوراه من جامعة فينا في الفلسفة، اشترك مع انجلز في وضع بيان الحزب الشيوعي عام 1848. وتقرر نظرية ماركس نتيجة تحليلها للمجتمع الغربي المعاصر أن المجتمع بصفة عامة يتكون من طبقتين رئيسيتين والصراع بينهما حتمي ومحتدم بالضرورة لأنه - الصراع الطبقي- هو الوسيلة القادرة على نقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، وتمثل الطبقة الأولى نظام الإنتاج البائد، وتمثل الطبقة الثانية نظام الإنتاج المستحدث.

ويرى ماركس أن وحدة الكون وحدة فكر جدلية، والمجتمع عنده ينشأ لكونه شكلاً خاصاً من حركة المادة التي تشكل الطبيعة، والإنتاج المادي حسب الماركسية هو أساس وجود المجتمع، وتوضح نظريته ذات البعد التاريخي والتي تسمى المادية التاريخية أن المجتمع الإنساني يتطور من مرحلة إلى أخرى بفعل تطور قوى الإنتاج، ودور الطبقة الثوري ماراً بالمراحل التاريخية وهي:

1- المرحلة المشاعية: وتتميز بعدم امتلاك الإنسان لقوى إنتاجية ملحوظة، إذ كان يعتمد فيها على الجمع والالتقاط، ولم يعرف الإنسان الملكية في هذه المرحلة ولم يعرف التمايز الطبقي.

2- مرحلة المجتمع البدائي: تطورت قوى ووسائل الإنتاج، وظهرت الملكية الفردية التي قسمت المجتمع إلى طبقتين: طبقة الأحرار وطبقة العبيد.

3- مرحلة الإقطاع: وفيها انقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الإقطاعيين الذين يملكون الأرض، وطبقة الفلاحين الذين يعملون في الأرض لدى الإقطاعيين، وبذلك انتشرت الإقطاعيات في أوروبا.

4- مرحلة الرأسمالية: تميزت هذه المرحلة بعصر جديد يقوم على التصنيع الذي مكن المجتمعات التي اعتمدته على نطاق واسع من تحقيق وفرة غذائية حققت رغد العيش لسكانها.

وتنظر الماركسية إلى الحياة الاجتماعية على أنها دائبة الحركة، وتمثل حركتها شكلاً خاصاً من أشكال حركة المادة، فهي تحتوي في داخلها على دوافع التغير، وتنطبق عليها نفس قوانين حركة المادة. ومع ذلك فليس هناك تطابقاً كاملاً بين قوانين الطبيعة وقوانين المجتمع، ذلك أن المجتمع لا يحتوي على عناصر صماء عمياء كما في الطبيعة، بل يحوي عناصر واعية ويضم أناساً بشراً لديهم أهداف محددة وأنماطاً محددة من الوعي تمكنهم من تحقيق هذه الأهداف.

- نظرية إميل دوركايم (1858- 1917) Emile Durkheim: عالم اجتماع يهودي فرنسي له وزنه في علم الاجتماع، كان أستاذ بالسربون وتأثر اتجاهه في علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية، من أشهر مؤلفاته: قواعد المنهج السوسيولوجي 1895.

نظرية دوركايم في التغير الاجتماعي تشبه إلى حد كبير نظرية سبنسر، دون التزام بالمماثلة العضوية أو تشبيه التغير في المجتمع بالتغيرات في عالم المادة أو عالم الكائنات الحية، حيث انطلق دوركايم في رؤيته للتغير من منظور وظيفي يتأسس على فكرتي التباين والتضامن.

وهذه الفكرة تتضح من خلال العلاقة بين مفهوم تقسيم العمل ومفهوم التضامن الاجتماعي، فتقسيم العمل تصاحبه أنواع مختلفة من التباين الاجتماعي، فالمجتمعات تميل في تغيرها إلى أن تتباين في مكوناتها، وحدوث أشكالاً من التباين يؤدي إلى حدوث أشكال أخرى مصاحبة، فالتباين السكاني مثلاً يؤدي إلى زيادة الكثافة الأخلاقية وهذه بدورها تؤدي إلى تقسيم العمل وهكذا.

لقد تصور دوركايم حالة تغير المجتمع الإنساني من مرحلة التضامن الميكانيكي إلى العضوي، فأما مرحلة التضامن الميكانيكي فتتميز بالشعور الجمعي (نحن)، لأن كافة أفراده متجانسون عقلياً وفكرياً وعقائدياً، ولديهم ولاءً للضمير الاجتماعي، وهذا لا يفسح المجال للحريات الفردية. وبعد هذه المرحلة ينتقل المجتمع إلى مرحلة جديدة تتصف بالتضامن العضوي الذي يقابل المجتمع الحديث المتصف بالعلاقات الجزئية والجانبية المعتمدة على المصلحة الذاتية ولا يوجد أي أثر للأواصر القبلية والقرابية، وهنا تكون العلاقات الاجتماعية سهلة الانحلال ويضعف الشعور الجمعي وتنتشر الحرية الفردية.

- نظرية فرديناند تونيز (1855- 1936) Ferdinand Tönnies: عالم اجتماع ألماني، درس الفلسفة الاجتماعية والسياسية، والجماعة Communauté، والعادات، من أشهر مؤلفاته: الجماعة المحلية والمجتمع 1940. إن إسهامات تونيز المتعلقة بتصنيف نماذج المجتمعات البشرية (متجانسة وغير متجانسة)، قد تركت تأثيرها بشكل واضح على التحليل السوسيولوجي لدى بعض رواد علم الاجتماع، ومنهم دوركايم في تصنيفه للنماذج الاجتماعية. وتصور تونيز تغير حالة المجتمع الإنساني من المرحلة المحلية ليصل إلى المرحلة العامة فقط، إذ وصف حالة المجتمع المحلي بأن الأسرة فيه موجهة ومسيطرة من قبل الرجل وبالتحديد من قبل المتقدمين في السن، وتكون الأسرة ممتدة، ويكون اختيار شريك الحياة عن طريق أهل الشريكين، والفرد في هذا المجتمع يرث تميزاً اجتماعياً من خلال عضويته الأسرية، ويسود هذا النوع من المجتمعات تضامن اجتماعي قوي بسبب الروابط القرابية وبتأثير وسائل الضبط الاجتماعي. وهذا النوع من المجتمعات يعتبره تونيز مرحلة أولية يتغير بعدها إلى مرحلة المجتمع العام الذي يقابل المجتمع الحضري أو الصناعي الحديث الذي يتمتع بدرجة عالية من التحضر والتعقد، ويتصف بتنوع ثقافي غير منسجم في تركيبه وتسوده الجماعات المتنافسة، أما الأسرة فتكون

مسيطرة وموجهة من قبل الرجل (الزوج أو الأب أو الأخ الكبير)، ويتم اختيار شريك الحياة من قبل الشريكين أنفسهم انطلاقاً من التجاذب الرومنسي. وقد عرض تونيز خصائص كل من الجماعات المحلية والمجتمع، والتغيرات التي طرأت عليهما من خلال عرضه لتطور المجتمع الإنساني. حيث كانت الوحدة تسوده في العصور الوسطى، فحل محلها التفكك والتجزؤ، كما كانت السلطة أبوية فأصبحت الآن نوعاً من الاستغلال الإجباري، وبينما كانت القيم والعادات والتقاليد - من تراجم ومشاركة وجدانية- تسود بين الأقارب، أصبح الناس في ذلك الوقت أغراباً...وبينما كان الناس يميلون إلى الاستقرار في مواطنهم، ويقيمون فيها إقامة دائمة أصبحت الحركة والتنقل هي الغالبة.

- نظرية تالكوت بارسونز (1902- 1979) Talcott Parsons: عالم اجتماع أمريكي، من أنصار الوظيفية ومؤسسي مدرسة العلاقات الاجتماعية، من أشهر مؤلفاته: بنية الفعل الاجتماعي 1937، والنظام الاجتماعي 1951. يعتبر بارسونز من مؤسسي نظرية النسق الاجتماعي System Social، والمجتمع في نظره هو أحد الأنساق الأساسية للفعل. والمجتمع كنسق يعيش في حالة توازن داخلي وخارجي، فهو يدخل في علاقات متوازنة مع أنساق الفعل الأخرى (الكائن العضوي- الشخصية- الثقافة) وهو يتوازن من الداخل حيث تحقق أنساقه علاقات منتظمة ومتوازنة.وعندما يتعرض المجتمع لحالة تغير، فإنه لا يفقد خاصية توازنه، فهذا التوازن دينامي ومستمر، لذلك فإنه يمكن للمجتمع دائماً من أن يتكيف مع التغيرات الجديدة ويدمجها داخل بنائه. ويمكن التمييز بين نوعين من التغير في فكر بارسونز هما:

1- التغيرات قصيرة المدى: تظهر داخل المجتمع نتيجة عوامل داخلية (كالاختراعات والأفكار الجديدة)، أو عوامل خارجية (كالتغيرات في الصفات الوراثية في السكان، وتغير أساليب استغلال الطبيعة،...)، وهي تغيرات تدريجية لا تؤدي إلى انهيار النسق أو تغيره بشكل جذري.

2- التغيرات البعيدة المدى: وهي تغيرات واسعة النطاق تحدث على فترات متباعدة، وفسر بارسونز هذه التغيرات من خلال مفهوم العموميات التطورية، التي يقصد بها تجديد بنائي له قدرة على الاستمرار والبقاء، ويخلق بدوره تجديدات وتطويرات أخرى، فظهور نسق التدرج الاجتماعي أدى إلى تحول المجتمعات البدائية إلى وسيطة، كما أن ظهور النقود والأسواق، والبيروقراطية والقانون والديمقراطية هو الذي أدى إلى تحول المجتمعات الوسيطة إلى مجتمعات حديثة.

وبالرغم مما قدمه بارسونز من إسهامات فقد تعرضت نظريته عن التغير الاجتماعي لموجة من الانتقادات كان أبرزها غموض مفاهيمه الأساسية، ومبالغته لقيمة التجريد في صياغة النظريات مما جعل مفاهيمه بعيدة كل البعد عن الشواهد المستخلصة من الواقع.

- نظرية هربرت سبنسر (1820- 1903) Herbert Spencer: عالم اجتماع انجليزي، عمل مدرساً ثم مهندساً وبعدها عمل بالأدب والسياسة وشؤون المجتمع، من أهم أشهر مؤلفاته: الثبات الاجتماعي 1850، ومبادئ علم النفس 1872.

تتلخص النظرية التطورية عند سبنسر في الانتقال من التشابه إلى التباين، وترتكز فلسفته الاجتماعية على مبادئ عامة أشهرها المبدأ القائل: العالم في تغير مستمر، فكل ما يقع فيه من تغير سواء كان كبيراً أو صغيراً، طبيعياً أو عقلياً أو اجتماعياً، فإنما يرد إلى تفاعلين هما (النشوء والارتقاء) ، ومتى قام المجتمع واستقرت الحياة

الاجتماعية، تأخذ الظواهر والنظم الاجتماعية في الارتقاء والتطور، وتخضع بدورها للانتقال من حالة التجانس إلى مرحلة التباين والتخصص.

ويوضح سبنسر في نظريته أن المجتمع الإنساني ينتقل في تطوره من مرحلة التجانس إلى مرحلة اللاتجانس على النحو التالي:

1- مرحلة التجانس: يكون المجتمع في هذه المرحلة بسيط البناء غير متخصص الوظائف، فالبناء الواحد مثل الأسرة يقوم بعدد كبير من الوظائف مثل الوظيفة الإنتاجية، والاستهلاكية، وهذا يضعف قدرة البناء على القيام بوظائفه، وبالتالي يؤدي إلى عدم الكفاءة في القيام بهذه الوظائف.

2- مرحلة اللاتجانس: يكون المجتمع معقد البناء، نتيجة لتنوع الأبنية الاجتماعية التي يتضمنها وتكاثر أعدادها، ونتيجة لذلك يظهر التخصص الوظيفي، فيتخصص كل بناء بوظيفة واحدة، مما يؤدي إلى زيادة قدرته على القيام بهذه الوظيفة، والوصول إلى مرحلة أعلى من الارتقاء التكيفي.

ويعبر سبنسر في عدة مقالات كتبها عن اعتقاده بأن التطور البشري يسير في مسارات متعددة، حيث يظهر أن تقدم الإنسانية عبر مراحل التطور يشبه في حتميته تطور الأفراد من الطفولة وحتى النضج، فتبدأ المجتمعات بسيطة وتتحول بالتدريج إلى أن تصبح مركبة وغير متجانسة.

ورغم أن نظريته كانت مبنية على بيانات امبريقية أكثر كفاءة من تلك التي استعان بها كونت، فإنها لم تسلم هي الأخرى من الانتقادات، ذلك أن مبدأ تشبيه المجتمع بالكائن العضوي، هو مبدأ غير علمي لأن الطبائع بينهما مختلفة، أي أن قوانين علم الحياة لا تنطبق على قوانين المجتمع.

- نظرية أنطونيان كوندرسه (1743- 1794) Antonine Condercet: عالم اجتماع فرنسي من فلاسفة التاريخ، تبنى الأفكار الثورية بالرغم من انتمائه إلى الطبقة الارستقراطية، تأثر بأفكار كونت، من أشهر مؤلفاته: شكل تاريخي لتقدم العقل البشري 1774.

شرح كوندرسه مسيرة تقدم الإنسانية في كتابه الشهير: (شكل تاريخي لتقدم العقل البشري)، موضحاً تقدم الإنسانية في خط مستقيم صاعد نحو التقدم والنضج والكمال من خلال عشر مراحل، وكل مرحلة تمثل فترة محددة في تقدم الإنسانية، قد قطعت منها إلى نهاية القرن الثامن عشر تسع مراحل، وعاشرها (مرحلة الآمال) أي مستقبل الإنسانية، وهذه المراحل هي:

1- المرحلة الطبيعية: وهي التي عاشتها الإنسانية في البداية والتي تقوم على الصناعات البدائية.

2- مرحلة الرعي واستئناس الحيوان.

3- مرحلة الزراعة: وفيها بدأ الإنسان يستقر ويتأمل في مظاهر الحياة.

4- مرحلة الحضارة اليونانية: ظهرت فيها المدينة كوحدة سياسية، والرقي الحضاري والديمقراطية.

5- مرحلة الحضارة الرومانية: ظهرت فكرة الإمبراطورية والنزعة الرومانية العلمية.

6- مرحلة العصور الوسطى المسيحية: وفيها ظهر الصراع بين السلطتين الدينية والزمنية.

7- مرحلة الإقطاع: ظهر فيها الاستبداد، وظهرت طبقات غنية على حساب طبقات كادحة.

8- مرحلة اختراع الطباعة: تميزت بالنهضة الفكرية والنقدية والفلسفية نتيجة لاختراع الطباعة.

9- مرحلة الثورة الفرنسية: ويعتبرها كوندرسه عصر الحرية وإعلان حقوق الإنسان.

10- مرحلة الآمال ومستقبل الإنسانية: وفيها يتحقق التطور والارتقاء الذاتي للفرد، وتعم المساواة.

ويلاحظ من تقسيم كوندرسه بأنه تاريخي اجتماعي للمجتمعات الأوروبية بصفة خاصة محاولاً تعميم ما حدث في أوروبا على العالم بأسره، ولهذا بقيت نظريته في إطار التصور الفلسفي ناهيك عن التقسيم التعسفي لتعدد المراحل وترتيبها.

2- نظريات التغير الدائرية:

النظريات الدائرية Cyclical هي التي تقول بسير حركة التغير في اتجاه دائري، وتقوم على فكرة قديمة مفادها أن كل الخبرة البشرية قد حدثت من قبل، وليس هناك من جديد، ومن ثم فإن التاريخ يميل إلى تكرار نفسه. وفي ضوء هذه الفكرة ظهرت النظريات الدائرية في تطور المجتمعات، وهي نظريات تتخذ - في معظمها - موقفاً تشاؤمياً ولذلك فإن مسلك التطور هنا ليس تقدمياً بل أنه يتقدم لفترة ثم يعود أدراجه إلى حيث بدأ، أو إلى حالة من التقهقر إلى الوراء، ومن هذه النظريات:

1- نظرية عبد الرحمن بن خلدون (1332- 1406) Abd ar-Rahman ibn khaldun: هو الأديب الفقيه المؤرخ الناقد ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الأشبيلي التونسي المالكي، شغل الكثير من المناصب الحكومية في التدريس والقضاء، وقام بعدة رحلات نحو المشرق والمغرب، من مؤلفاته: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، في سبعة أجزاء.

يؤكد ابن خلدون أن المجتمع العربي يتطور من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر، وأن العوامل التي تؤدي إلى هذا الانتقال: هي تغير النحل من المعاش أو نمط الإنتاج، وتغير نمط العصبية السائدة فيه. فبينما يكون نمط الإنتاج في المجتمع البدوي نمط رعوي يقوم على استغلال البيئة الطبيعية في الرعي وتربية الحيوانات والعيش من منتجاتها، فإن نمط الإنتاج في البيئة الحضرية حرفي- تجاري يقوم على تشكيل السلع والخدمات من مواد البيئة الطبيعية وبيعها مقابل ربح مالي، والعيش من تراكم هذا الربح.

ومع هذا التغير في نمط الإنتاج تتغير أيضاً طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الناس، فهي قرابية في المجتمع البدوي بسبب عمل الأقارب المشترك والتشابه في المهارات والعادات، ولكنها في المجتمع الحضري ونتيجة لزيادة عدد السكان وتنوع أحوالهم وأصولهم فإن العلاقات القرابية تضعف وتتراجع، ويحل محلها علاقات تعاقدية غير قرابية تقوم على تبادل المنافع والمصالح.

ويرى ابن خلدون أن المجتمع الإنساني كالفرد يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته، وأن للدول أعماراً كالأشخاص، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال والجيل أربعون سنة، وقسم تطور الدولة، واختلاف أحوالها، وخلق أهلها إلى خمسة مراحل هي:

1- مرحلة النشأة (البداوة): والاستيلاء على الملك، ويقتصر فيها الأفراد على الضروري في أحوالهم، وهي تتميز بخشونة العيش، وتوحش الأفراد، كما تتميز بوجود العصبية القبلية.

2- مرحلة الملك والاستبداد: وفيها ينتقل المجتمع من حالة البداوة إلى الحضارة، وتبدأ العصبية بالضعف لدى الحكام، ولكنها لا تزول تماماً، ويحدث الانفراد بالحكم من قبل فرد أو أسرة أو فئة.

3- مرحلة الترف والنعيم: ويسميها ابن خلدون بطور الفراغ والدعة، وفيها ينسى الأفراد حياة البداوة، ويفقدون فيها العصبية، ويركن الحكام إلى الدعة والترف، ويؤدي النعيم بالدولة إلى الفناء.

4- مرحلة القنوع والمسالمة وتقليد للحكام السابقين: ويبدأ الضعف يدب في الدولة.
5- مرحلة الضعف والاستكانة: وهي انهيار وزوال الدولة ثم اضمحلالها، والإصلاح في هذه الحالة لا يجدي فتيلاً، وتأتي دولة جديدة تقضي عليها وهكذا دواليك.

ورغم أن تصورات ابن خلدون جاءت لتسبق علماء الاجتماع بقرون، إلا أنه يؤخذ على نظريته عدة مآخذ منها رؤيته لظواهر الحياة الاجتماعية بأنها تخضع لقانون الفناء، وما المجتمع إلا لحظة من مجرى الحياة الفانية، وينطبق عليه قانون الفناء، وبالتالي لا يجدي إصلاحه، وهذه مقولة تشاؤمية لا تنطبق على واقع المجتمعات، فإصلاح المجتمع ممكن عن طريق التنمية والتخطيط، كما أنه وقع أيضاً في تعميم بعض القوانين على مجتمعات لم يعايشها.

2- نظرية أوزفالد شبنجلر (1880- 1936) Oswald Spengler: فيلسوف ألماني من أنصار نظرية التغير الدوري الجزئي، اهتم بالدراسات الاجتماعية التاريخية، وبتكوين الثقافة وأنواعها وتطورها، من مؤلفاته: تدهور الغرب 1918، والدولة 1933.

نال شبنجلر شُهرة كبيرة في النصف الأول من القرن 20 م، وذلك بعد تأليف كتابه المشهور سنة: 1918 (انحلال الغرب)، حيث بسط فيه فلسفته الحضارية التي تُدعى بالدوائر المُقفلة للحضارات. ويرى أن الحضارة تمر بمراحل دائرية في تطورها من ولادة، ونضوج، وموت، تماماً كما يمر الإنسان بهذه المراحل. لكن بينما يمتد عمر الإنسان ليصل مائة سنة على أكبر تقدير، فإن عمر الحضارة يصل إلى ألف عام في المتوسط، وعلى أساس هذا المعيار تنبأ بسقوط الحضارة الغربية التي بدأت في القرن التاسع الميلادي، ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تكون قد أكملت عمرها، وهو ألف عام كاملة. ويذهب شبنجلر إلى القول بأن كل حضارة هي عبارة عن دائرة روحية مقفلة على ذاتها، وكل حضارة تملك بذرتها المتوارية داخل تربتها، فتشرع هذه البذرة بالنمو بعد أن تكتشف مبدأها الروحي والميتافيزيقي الذي تتخذ منه أساساً لنهضتها. وتكون المرحلة الحضارية في المنتصف، أي في سن الشباب حيث يُعطى للفكر أقصى درجات الأهمية، وبعد الأوج يأتي التدهور وهي مرحلة المدنية والتبشير بقرب وفاة الحضارة وأنها بدأت تخطو خطواتها النهائية نحو الانحطاط والضعف.

ويسهب شبنجلر في تقسيم الثقافات وتحديد أعمارها، فيقسمها إلى تسع ثقافات أساسية...وأن لكل حضارة كبرى خصائصها ومميزاتها إلا أنها تتفق جميعاً في تاريخ التطور العام، وهي تتجه نحو الفناء، وهنا يتفق مع ابن خلدون حول (فناء الحضارة)، فالتاريخ البشري في عُرف شبنجلر لا يُمكن له إلا أن ينحصر في هذه الحلقات المُقفلة للحضارات، فكل حضارة تقوم بالانطواء على ذاتها لتكتسب هويتها وخصوصيتها تمهيداً للحياة والبناء.

ولكن يرى كل من توينبي وبوبر أن فلسفة شبنجلر هي فلسفة متشائمة تبشر بموت الغرب وأفول نجمه، وتركّز على سلبيات المدنية الغربية وتغض النظر عن تفوقها، كما أن المعيار الذي استخدمه في تنبؤه بسقوط الحضارة الغربية معياراً تعسفياً، أدى إلى انهيار كل تنبؤاته، فالحضارة الغربية لم تنهار بعد ألف عام، وإنما ازدادت قوة وتقدماً، كما أن حتمية الفناء فكرة غير واقعية، لأن الحضارات لا تفنى، وإنما تتجدد وتتغير بفعل التراكمات الثقافية والاختراعات وغير ذلك.

3- نظرية ارنولد جوزيف توينبي (1889- 1975) Arnold Joseph Toynbee: مؤرخ بريطاني، عمل أستاذ للتاريخ اليوناني والبيزنطي بجامعة لندن ومدير المعهد الملكي للأعمال الدولية، من مؤلفاته: دراسة التاريخ 1936

في اثني عشر مجلداً. وهو صاحب نظرية التحدي والاستجابة، اقترح بأن المجتمعات تمر من خلال دوائر التحدي والاستجابة، والتحدي يلتقي مع أو يواجه استجابة اجتماعية، الأمر الذي يبلور تحدياً اجتماعياً جديداً. وهذا يعني أن توينبي أكثر تفاؤلاً من شبنجلر، لأنه يرى أن المجتمعات تتقدم نحو الأمام والكمال أو النضج.

ولتبسيط مقولة التحدي والاستجابة نقول بأن البيئة تتحدى الناس؛ فإن استجابوا للتحدي بنجاح، فإنهم سوف يتمكنون من إنشاء حضارة قوية، وإن هم أخفقوا في ذلك، فإن نمو حضارة متقدمة في تلك البيئة (شديدة القسوة كالصحراء) سوف لن يكلل بالنجاح، وبالتالي فنمو الحضارة مرهون بمدى استجابة الناس للتحديات التي تواجههم. وتمر كل حضارة حسب توينبي بطورين اثنين هما:

1- الطور الأول: وهو طور النمو، وتكون الاستجابة للتحديات موفقة دوماً؛ أي أن الناس يكونون أقدر من القوة التي تعارضهم وتعرقل تفتحهم.

2- الطور الثاني: يكون الوضع مناقضاً لما كان عليه الحال في الطور الأول، أي تكون التحديات أقوى من كفاءة الناس، الذين يعجزون عن الاستجابة لها، فيكون الرد عليها أضعف، ويستمر الحال هكذا إلى أن تضمحل الحضارة وتضعف وتتلاشى.

ولذلك يذهب توينبي إلى القول بأن الحركة الدائرية تنطبق على كل الحضارات، وإن كان يتميز بعضها بالعقم والآخر بالتوقف إلى حين.

وعلى الرغم من أن توينبي قام بعقد مقارنات بين الحضارات المختلفة، وتوصل من خلالها إلى نوع من التصوف التاريخي يؤدي إلى قيام مرحلة دينية جديدة تنقذ الإنسان من يوم الحساب غايتها (الاتحاد مع الإله)، إلا أنه قد اخفق في تفسير كيف تأتي هذه المرحلة الجديدة للخلاص.

4- <u>نظرية بتروم سوركين</u> (1889- 1968) Pitirim Sorokin: عالم اجتماع أمريكي من أصل روسي، صاحب نظرية التذبذب، ينتمي إلى المدرسة السلوكية في علم الاجتماع، من مؤلفاته: الحراك الاجتماعي 1927. ولقد كان سوركين مثله مثل العديد من علماء الاجتماع آراؤه متشائمة حول المستقبل، لأنه كان يعتقد بأنه إذا لم تكن الإنسانية قادرة على تغيير اتجاهها الحالي الذي يتميز بالأنانية والمادية، فإننا سوف يجب علينا أن نستسلم في النهاية للحتمية الثقافة الإبداعية.

وينظر سوركين إلى المجتمع كنسق أعلى يشتمل على البناء الاجتماعي والثقافة وجماعات من الأفراد، هذا النسق في حالة مستمرة ومتواصلة من التغير، ويرى أنه يمكن تغيير المجتمعات في عديد من الاتجاهات المختلفة طبقاً لقيم الأفراد داخل النسق، وهنا يحتاج الإنسان في البداية إلى اكتساب المعرفة حتى يتمكن من السيطرة على اتجاه التغير. وفي كتابه التطورات الاجتماعية والثقافية بين أن التطور لا يسير في خط مستقيم، ولا ينتقل من حالة معينة إلى حالة أحسن، ولكنه يسير على شكل موجات ودوائر مكررة، مما يجعل من الممكن دراستها، واستخلاص قوانينها.

ولكي نفهم ذبذبة التغير الاجتماعي يمدنا سوركين بثلاثة أنواع أساسية من الحضارات، وهذه الأنواع الثلاثة توجد فقط كنماذج مثالية ولا يوجد فيها نوع خالص:

1- الثقافة الحسية: وتوجد عندما تتقبل عقلية الجماهير حقيقة الأشياء، ويمكن ملاحظتها بالحواس، ولذلك لا تهتم الحضارة الحسية بالبحث أو اكتشاف المعرفة المطلقة، وإنما تتجه نحو استخدام الملاحظة كمصدر للحقيقة.

2- الثقافة الصورية: وهي عبارة عن إحساس روحي يعتمد على اتجاه ديني إلى حد بعيد، ومن ثم تعتمد على الدين والوحي كمصدر للحقيقة ولا تهتم بالجوانب الامبريقية.

3- الثقافة المثالية: وهي مزيج من الأنماط الحسية والصورية، ومع ذلك فإن هذا النوع من الثقافة يرتقي فوق النوعين السابقين نظراً لإضافة (السبب) كمصدر للحقيقة، ولكي توجد هذه الثقافة المثالية يجب أن تتعايش عناصر الثقافة الحسية والصورية في نمط متناسق.

وهناك نوع رابع من الثقافة يطلق عليه سوركين (الثقافة المختلطة)، وهو مركب من الثقافة الصورية والحسية بدون (سبب) كمصدر للحقيقة. ويعتقد أن المجتمعات ترتد باستمرار جيئة وذهاباً مابين الحضارة الحسية والصورية، وأحياناً ترتفع بدرجات كبيرة وتحرز تقريباً الثقافة المثالية، وفي أحيان أخرى تمر بالثقافة المختلطة.

5- نظرية جيوفاني باتيستا فيكو (1668- 1744) Jiovanni Battista Vico:

فيلسوف وسياسي ومنظر إيطالي، اعتقد أن المجتمعات الإنسانية تمر بحلقات حضارية على شكل دورات، والتاريخ في رأيه يدور في حلقة لولبية صاعدة ومتجددة على الدوام، وتمر المجتمعات بمراحل معينة من التطور الذي ينتهي إلى الانحلال، لتبدأ من جديد مراحل أخرى أعلى درجة مما سبقتها، لينتهي هذا التطور مرة أخرى إلى الانحلال.

وقد قسم تاريخ تطور المجتمعات الإنسانية إلى ثلاث مراحل متعاقبة:

1- المرحلة الدينية: وتسمى أيضاً بعصر الآلهة وتتميز بالطبيعة التأليهية للأشياء، وأن كل فعل أو قول مستمد من الآلهة، والمجتمع في هذه المرحلة يعتمد على مقولات دينية، وتسوده الخرافات والأوهام والخوف من الظواهر الطبيعية.

2- مرحلة البطولة: وتبدو في تعظيم الشرف، والمغامرة، والحق فيها للأقوى، وتنتقل فيها السلطة إلى رجال الحرب والسياسة، ويظهر على أساسها نظام أرستقراطي يسود فيه الأغنياء السادة وفرسان القبائل ويحتقر فيه العبيد والخدم.

3- مرحلة الإنسانية: وتتميز بالحرية السياسية، والمساواة، وسيادة الحقوق المدنية، وانتشار الأنظمة الديمقراطية وتنتشر المساواة والعدالة بين الناس، وتسقط خلال هذا العصر الديكتاتورية والنظم الاستبدادية الظالمة وتحل محلها الديمقراطية.

وهذا العصر كما يراه فيكو يتضمن بذور انهياره وفنائه، إذ أن الديمقراطية وإعلان المساواة بين أفراد الدولة لا تلبث أن تغري العامة بالتطرف في المطالبة بحقوقها، فينشأ عن ذلك الفوضى والمشكلات وتزداد الفتن فيكون الانحلال والفساد الذي يؤذن بانتهاء الدورة الحضارية كلها.

ولقد تبنى فيكو تصور المصريين القائل بوجود ثلاث أزمنة للعالم (دور الآلهة، دور الأبطال، دور البشر)، وعمم هذه الأدوار على جميع الأمم، فكل أمة تنتقل في تاريخها من دور الآلهة إلى دور الأبطال فدور البشر،

وعندما تبلغ غايتها من الدور الأخير، تعود مرة أخرى إلى دور الآلهة، وتبدأ كذلك دورة جديدة على شاكلة هذه الدائرة الأزلية الأبدية في سير تذبذبي أو حلزوني.